

مجلة الشهاب • المجلد: 10، العدد: 01 (2024م) • ص ص 557- 582
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

علم مقارنة الأديان وأثره في تعميق فهم القرآن الكريم

Title in English Religious comparative science and its impact on deepening understanding of the Holy Quran

د/ سفيان شتيوي *
مخبر بحث العلوم الإسلامية في الجزائر
كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1 (الجزائر)
soufiane.chetioui@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2023/08/01 | تاريخ القبول: 2024/02/11 | تاريخ النشر: 2024/03/15



ملخص: يعد علم مقارنة الأديان من العلوم التي ظهرت في البيئة الإسلامية بدافع من القرآن الكريم ابتداءا، من خلال إشاراته العديدة إلى الأديان والشرائع والكتب المقدسة عرضا ونقدا ومقارنة، وهي الإشارات التي كانت منطلق ومستند علماء المسلمين في دراستهم للأديان المختلفة.

وهذه الدراسة محاولة جادة للوقوف على إسهامات علم مقارنة الأديان في تفسير القرآن الكريم والدراسات القرآنية عموما، وتدور الإشكالية حول طبيعة الإضافات التي يمكن أن يقدّمها علم مقارنة الأديان لعلم التفسير والدراسات القرآنية. ومن النتائج التي توصلت إليها أن لعلم مقارنة الأديان إسهامات لا يمكن إغفالها في الدرس التفسيري تدور حول تعميق فهم النص وتوسيع فهمه، والتأكيد على صدق وصحة الإشارات القرآنية في المباحث المتعلقة بالأديان، من خلال خلاصة أبحاثه والنتائج التي توصل إليها علماؤه.

الكلمات المفتاحية: مقارنة الأديان؛ القرآن الكريم؛ الدرس التفسيري؛ تعميق الفهم.

Abstract: The science of comparison of religions is one of the sciences that emerged in the Islamic environment motivated by the Holy Quran in the beginning, through its many references to religions, canons and scriptures, both in presentation, criticism and comparison, which were the starting point and basis of Muslim scholars in their study of different religions.

This study is a serious attempt to identify the contributions of religious comparative science to the interpretation of the Holy Quran and Quranic studies in general. The problem revolves around the nature of the additions that religious comparative science can make to interpretation and Quranic studies. Among its findings is that the science of comparison of religions has irreplaceable contributions to the explanatory lesson of deepening and broadening the understanding of the text and emphasizing the sincerity and validity of the

* المؤلف المراسل.

Quranic references in the interrogation of religions, through the compendium of his research and the findings of his scholars.
Keywords: comparison of religions; the Holy Quran; The explanatory lesson; Deepening understanding.

1. مقدمة

شكّل الحديث عن الأديان جزءا مهما من القرآن الكريم تنوّع بين الوصف والتأريخ والتحليل والنقد والمقارنة، مما أثار أذهان المسلمين، وفتح أمامهم أفقا واسعا، ودفعهم لدراسة الأديان دراسة مستفيضة، فجاءت مصنفاتهم في علم مقارنة الأديان ـ الذي اشتهر بعلم الملل والنحل في البيئة الإسلامية ـ على نحو يتّسم بالعلمية، استفادت منه علوم أخرى على غرار علم الجدل والمناظرة، وعلم الفرق، وعلم الكلام، حيث أمدّهم بمادة علمية دقيقة عن الجذور الوثنية والأصول الأجنبية لعقائد الفرق الباطنية والمبتدعة التي ظهرت في الفكر الإسلامي، مكّنتهم من إبطال ونقض الأساس المعرفي لها.

وكما كان لعلم مقارنة الأديان دورا محوريا ومهما في امداد هاتيك العلوم بمادة علمية وظّفها روادها في الرّد على الخصوم، فإنه يمكن أن يكون له الدور نفسه مع المفسّرين، من خلال امدادهم بمادة علمية دقيقة في المباحث المتعلقة بالأديان، وذلك لما تقدّمه أبحاث هذا الحقل العلمي من بيانات ومعلومات تمثّل خلاصة دراساته وحقائقه التي توصّل إليها.

وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة الموسومة بـ "علم مقارنة الأديان وأثره في تعميق فهم القرآن الكريم" محاولة الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما هي الإضافات التي يقدّمها علم مقارنة الأديان لعلم التفسير؟

وللإجابة على هذا التساؤل الرئيسي اتّبعت منهجا استقرائيا تحليليا، وهذا لمناسبته لفكرة البحث وطبيعته.

هذا وتهدف الدراسة لبيان شكل من أشكال الإسهامات العلمية لعلم مقارنة الأديان، والتي تدلّ على قيمته الحضارية، كما تهدف أيضا للتأكيد على مسألة التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية، على اعتبار أن الدراسة تدور بين علم مقارنة الأديان وعلم التفسير.

2. الإطار المرجعي لدراسة الأديان في القرآن الكريم

لا يمكن إنكار دور القرآن الكريم في نشأة علم مقارنة الأديان، حيث كانت إشاراته العديدة وإفاداته المتنوعة عن الأديان وما يتعلق بها من عقائد وشرائع وطقوس وكتب مقدسة... بمثابة نصوص مرجعية انطلق منها علماء المسلمين لدراسة الأديان. ويمكن إجمال هذه الإشارات والإفادات القرآنية التي تعدّ أصولا علمية ومنهجية وإطارا مرجعيا لدراسة الأديان في النقاط الآتية:

1.2. عرضه للأديان التي كانت منتشرة عصر التنزيل: وذلك في قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين**

هادوا والصابين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾ [سورة الحج:17]

وهذه الآية التي عرضت خريطة الأديان الكبرى عصر نزول الوحي، كانت محل دراسة علمية مستفيضة من طرف (أبي الحسن العامري ت381ه) في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام"، والذي يعدّ عمدة في علم مقارنة الأديان ومصدرا من مصادره المؤسسة، وقد نهج فيه نهجا فريدا وغير مسبوق في هذا الفرع العلمي، من خلال مقابلته (مقارنته) بين الإسلام والأديان الخمسة المذكورة في الآية سالفة الذكر، وهي: اليهودية، الصابئة، النصرانية، الزرادشتية (المجوس)، الوثنية (ديانة الشرك)، وذلك في أربعة أركان تمثّل جوهر الدين، وهي: الاعتقادات، العبادات، المعاملات، العقوبات[1].

كما كانت الآية القرآنية سالفة الذكر، وغيرها من الآيات التي أشارت إلى أن كل الأمم لها شرائع وطريقة عبادة تسير عليها، من قبيل قوله تعالى: ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**﴾ [سورة المائدة:48]، وقوله سبحانه: ﴿**لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه**﴾ [سورة الحج:67] موجّهة لعلماء المسلمين نحو الاهتمام بأديان الشعوب الأخرى، والكشف عن عقائدها وشعائرها وكتبها المقدسة، وبيان تطورها، وتمييز الأصيل من عقائدها عن الدخيل، كما هو الحال مع (البيروني ت440ه) في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، الذي يعدّ حجّة في شؤون الهند، ومصدرا رئيسيا لمعرفة عقائد الهنادكة وثقافتهم، وقد صنّفته "دائرة معارف الدين" ضمن مصادر علم مقارنة الأديان المعاصر بدرجة كبرى[2]. وكذلك الحال مع (الشهرستاني ت548ه) في كتابه "الملل والنحل"، والذي يعدّ هو الآخر مصدرا من مصادر علم مقارنة الأديان في التراث الإسلامي، حيث أرّخ فيه صاحبه ووصف مذاهب وفرق وفلسفات الأديان العشرة المعروفة في العالم في زمانه، مما جعل البعض يعتبره أول كتاب تاريخ للأديان في العالم[3].

2.2. الكشف عن حقيقة من الحقائق المتعلقة بالكتاب المقدس لليهود والنصارى: والمتمثلة في التغيير الذي طاله زيادة ونقصانا، وحوّله من وحي إلهي إلى نص بشري، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بعدة مصطلحات، تمثّل أشكال التغيير الذي طاله ووسائله التي تمّ بها، وهي:

أ/ التحريف: والتحريف في اللغة يطلق على عدة معاني متقاربة منها: إمالة الشيء، وصرف الشئ عن معناه، كما أن من معاني التحريف التعديل[4].

وقد أشار القرآن الكريم إلى تحريف التوراة في أربعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿**من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾ [سورة النساء: 46]

---

[1] ـ ينظر: العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، ص22.
[2] ـ حمدي الشرقاوي: علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، ص 192.
[3] ـ المرجع نفسه، ص186.
[4] ـ ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص43.

والتحريف الذي يتحدّث عنه القرآن الكريم الذي طال التوراة هو تحريف في اللفظ والمعنى، وحمله على تغيير اللفظ أولى من حمله على تغيير المعنى، "لأن كلام الله تعالى إذا كان باقيا على جهته، وغيروا تأويله، فإنما يكونون مغيرين لمعناه، لا لنفس الكلام المسموع"[1].

ب/ التبديل: ويطلق التبديل في اللغة على التغيير، وجعل الشيء مكان آخر[2].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الوسيلة التي تعتبر شكلا من أشكال التغيير الذي لحق التوراة في عدّة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿**فبدّل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم**﴾ [سورة البقرة:59]

ويذكر (الرازي) أن التبديل كان هو الكيفية التي يتم بها التحريف، حيث كانوا يبدّلون اللفظ بلفظ آخر[3].

ج/ لي الألسنة: واللي لغة: عطف الشيء وردّه إلى الاعوجاج، ولوى لسانه بكذا كناية عن الكذب وتخرص الحديث[4].

وقد أشار القرآن إلى هذه الوسيلة التي استخدمها اليهود في تحريف كتابهم المقدس، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**﴾ [سورة آل عمران:78]

ومعنى (يلوون ألسنتهم): "أن يعمدوا إلى اللفظة فيحرفونها في حركات الإعراب تحريفا يتغير به المعنى، وهذا كثير في لسان العرب، فلا يبعد مثله في العبرانية"[5].

د/ الإخفاء والكتمان: وهذه وسيلة أخرى من الوسائل التي استخدمها علماء اليهود لتحريف التوراة، قال تعالى: ﴿**تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا**﴾ [سورة الأنعام: 91]، وفي الكتمان قال سبحانه: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**﴾ [سورة البقرة: 146]

ويذكر علماء المسلمين أن هذه الوسيلة طبّقها اليهود خاصة على النصوص التي بشّرت ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم[6] والتي أكّد القرآن على وجودها في الكتاب المقدّس، قال تعالى: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبيّ الأمّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت**

[1]ـ الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص123.
[2]ـ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص50.
[3]ـ الرازي، ج3، ص85.
[4]ـ الأصفهاني، 460.
[5]ـ الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص94.
[6]ـ نهى سيد عبد الغفار، نقد العهد القديم بين الإسلام والعلمانية، ص62.

عليهم﴾ [سورة الأعراف: 157]

ه/ تلبيس الحق بالباطل: واللبس في اللغة ستر الشيء، ويستعمل في المعاني، ويقال: لابست فلانا، أي خالطته[1]، وتلبيس الحق بالباطل وسيلة من الوسائل التي استخدمها اليهود لتحريف توراتهم المقدّسة، قال تعالى مخبرا عن هذه الوسيلة: ﴿**يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق و أنتم تعلمون**﴾ [سورة آل عمران:71]، يقول (الزمخشري):"إن المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها، فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم، حتى لا يميز بين حقّها وباطلكم"[2].

وإلى جانب هذه الحقائق القرآنية المتعلقة بالتحريف الذي طال كتاب اليهود المقدّس، يشير القرآن إلى قاعدة منهجية مهمّة ودقيقة لتمييز الوحي الإلهي عن الوضع البشري، ألا وهي قاعدة "اختلاف النص وتناقضه مع بعضه"[3]، والتي تعني أن علامة وأمارة تمييز الوحي الإلهي عن النص البشري تكمن في خلوه من الاختلاف والتناقض والاضطراب بمفهوم المخالفة، يقول تعالى: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كبيرا**﴾ [سورة النساء:82]

وقد وعى علماء الإسلام هذا المعطى المنهجي، ووظّفوه في امتحان نصوص الأسفار المقدّسة، حيث كان منطلقهم في ذلك. والناظر والمتأمل في كتاباتهم المتعلقة بالأديان يجد أن مدارها هو "تبيان أوجه التناقض أو الاختلاف بين هذه النصوص، أو تناقضها مع بدهيات العقول، والمنطق والحسّ، ومعطيات العلم والتاريخ الثابتة، أو تعارضها مع المعايير الأخلاقية والسلوكية"[4].

وكان هدفهم من دراسة الكتاب المقدّس لليهود والنصارى إثبات ما لحقه من تحريف، والكشف عن مواطن هذا التحريف وعلاماته كشفا علميا.

فنجد (ابن حزم ت456ه) يؤلف سفره الكبير "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، ويخصص لهذا الغرض (إثبات صحة المعطى القرآني) فصولا مستقلة، من خلال تطبيق منهج فريد لنقد الأسفار المقدّسة داخليا وخارجيا، وكان مستنده في ذلك، تلك النصوص المرجعية آنفة الذكر، فيقول:"فمثل هذا من التكاذب لا يجوز أن يكون من عند الله عز وجل أصلا، ولا من قول نبي البتة"[5].

وكذلك فعل (القاضي عبد الجبار ت 415ه) في كتابه " تثبيت دلائل النبوة"، و(أبو المعالي الجويني ت478ه) في كتابه "شفاء الغليل في بيان ما ورد في التوراة والإنجيل من التبديل"، و(أبو عبيدة الخزرجي ت582ه) في كتابه "مقامع الصلبان"، و(أبي العباس القرطبي 656ه) في كتابه "الإعلام بما في دين النصارى

[1]- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص95.
[2]- الزمخشري، الكشاف، ج1، ص399.
[3]- نهى سيد عبد الغفار، نقد العهد القديم بين الإسلام والعلمانية، ص 57.
[4]- حمدي الشرقاوي: علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، ص417 ـ 418.
[5]- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2، ص23

من الفساد والأوهام وإظهر محاسن الإسلام وإثبات نبوة نبيا محمد عليه الصلاة والسلام"، وغيرهم كثير، حيث كانت الإشارات القرآنية مستندهم ومنطلقهم ومرجعيتهم[1].

3.2. نقد ونقض عقائد اليهود والنصارى وغيرهم من الوثنيين: عديدة هي الآيات التي نقدت وأبطلت اعتقاد اليهود والنصارى، سواء فيما تعلق بالإله أو الأنبياء أو اليوم الآخر، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾ [سورة المائدة:64]

والآية تتحدّث عن موقف اليهود من صفات الله عز وجل، وكيف وصفته بالبخل، والمشهور عن اليهود وقوعهم في التشبيه والتجسيم في موقفهم من الصفات الإلهية، وتصويرهم للإله في صورة بشرية، ووصفهم له بصفات لا تليق، حتى أصبح ذلك طبعا فيهم[2]. وقد ردّ عليهم القرآن منزّها الذات الإلهية عن كل نقص: ﴿**بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾، كما انتقد تلك النزعة التشبيهية التجسيمية لليهود، مبيّنا أن التصور الإسلامي يقوم على التنزيه المطلق، فقال سبحانه: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [سورة الشورى:11] وهذه الآية تعدّ قاعدة كبرى في التعامل مع صفات الله عز وجل في التصور الإسلامي.

كما نقض القرآن الكريم كذلك العقائد الكبرى للنصارى، كعقيدة التجسد والتثليث والصلب والفداء، نقرأ ذلك في قوله سبحانه: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل أعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام**﴾ [سورة المائدة: 72 ـ 74]

كما أبطل القرآن اعتقاد النصارى في صلب المسيح، قال سبحانه: ﴿**وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتّباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما**﴾ [سورة النساء: 157 ـ 158]

وفي نقضه العقلي لمعتقد الوثنيين نقرأ قوله تعالى: ﴿**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**﴾ [سورة الحج:73]

والحقيقة أن مثل هذه الآيات القرآنية التي انتقدت ونقضت عقائد اليهود والنصارى، وغيرها من

[1]ـ ينظر: حمدي الشرقاوي، علم مقارة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، ص 427 وما بعدها.
[2]ـ الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص106.

الآيات التي أبطلت عقائد الوثنيين فتحت أفقا واسعا أمام علماء المسلمين لدراسة عقائد "المخالفين" من اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، فنجد (ابن حزم) ينقض العقائد الكبرى لليهود والنصارى والصابئة، وغيرهم من أرباب الديانات الوثنية والدهرية، في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل).

ونجد البعض الآخر اختار مناقشتها والرّد عليها في إطار البحث الكلامي "الصرف"، في مبحث من مباحث مصنّفه، كما هو الحال مع (الأشعري ت330ه) في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"، و(الماتريدي ت333ه) في كتابه "التوحيد"، و(الباقلاني403ه) في كتابه "التمهيد"، و(البغدادي ت429ه) في كتابه "الفرق بين الفرق"، و(الجويني ت478ه) في كتابه "الشامل في أصول الدين".

بينما اختار البعض الآخر افراد الرّد على عقائد النصارى في مؤلفات مستقلة، كما هو الشأن مع (أبي عيسى الوراق ت247ه) في كتابه "الرّد على النصارى"، و(الجاحظ ت255 ه) في رسالته "المختار في الرّد على النصارى"، و(الغزالي ت505ه) في كتابه "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل)، و(القرافي ت684ه) في كتابه "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة"، و(ابن تيمية ت728ه) في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح...وغيرها من المؤلفات الكثيرة التي دحضت عقائد المخالفين من اليهود والنصارى والوثنيين والدهريين، وبيّنت تهافتها وضعفها وفسادها نقلا وعقلا، حيث كانت النصوص القرآنية حافزا وموجّها لاقتحام معترك هذه المعتقدات، ومرجعا ومستندا في الوقت نفسه.

4.2. التأكيد على مبدأ الحوار مع الآخر: خاصة مع أهل الكتاب، لما لهم من خصوصية في دين الإسلام، وفي ذلك يقول الحق: ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**﴾ [سورة آل عمران: 64]

ونبّه في موضع آخر ـ في معرض ترسيخ مبدأ الحوار ـ إلى أن الجدال معهم لا يكون إلا بالحسنى، قال تعالى: ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ [سورة العنكبوت:46]

وفي ذلك إشارة جلية إلى دراسة الأديان ومعرفة عقائدها وشعائرها ومصادرها المقدّسة، ذلك أن الحوار مع الآخر والجدال معه يسبقه من الناحية المنهجية معرفة بمعتقده، ليكون الحوار مؤسسا على علم ومعرفة ودراية. ويذكر أهل السير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجادل أهل الكتاب وهو على علم بعقائدهم وشعائرهم[1].

وهكذا سار علماء المسلمين في جدالهم مع أهل الأديان، خاصة الكتابية منها، حيث رجعوا إلى مصادرها الأصلية لفهم عقائدها وشعائرها، قبل مجادلة أهلها والرّد عليها[2].

[1]ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص192.

[2]ـ حمدي الشرقاوي، علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، ص30

5.2. إقراره بالإسلام دينا حقا، واعتبار ما سواه باطلا: وفي ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ [سورة آل عمران:19]، وأوضح منه قال: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**﴾ [سورة آل عمران:85]

وهو ما اقتضى من علماء المسلمين موقفا عمليا واضحا من كل ما يخالف الإسلام، ذلك أن الحق لا يعرف إلا على أنقاض الباطل، فاندفعوا بتأثير من الموقف القرآني نحو دراسة الأديان وفهم عقائدها وشعائرها، والتعرف على كتبها المقدسة، كمقدمة ضرورية لبيان فسادها وضعفها وتهافتها.

إن إقرار القرآن بالإسلام دينا حقا، واعتبار ما سواه باطلا، لا يعني البتة انكار تعدد الأديان، ورفض الوجود الفعلي لها، فالقرآن الذي أقرّ سنة الاختلاف بين البشر كما في قوله تعالى: ﴿**لكم دينكم ولي دين**﴾ [سورة الكافرون: 6] وقوله سبحانه: ﴿**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**﴾ [سورة هود:118 ـ 119] وجعلها سنة كونية في الألوان والألسن والمعتقدات، لا يتصور منه أبدا إلغاء أديان الآخرين، ومصادرة معتقداتهم، ذلك أنه ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ [سورة البقرة:256].

وهنا يتّضح الفرق بين الاعتراف بوجود الأديان الأخرى، الذي يقرّه القرآن والسنة، وبين إضفاء الشرعية عليها، والذي يتناقض مع مبدأ الشرعية الحقّة لدين الإسلام وحده دون سواه، قال تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**﴾.

هذه بعض الإشارات والإفادات القرآنية التي شكّلت الإطار المرجعي لدراسة الأديان، فكانت حافزا ودافعا وموجّها لعلماء المسلمين نحو الاهتمام بالأديان، دراسة وتحليلا ونقدا ومقارنة، فأثمرت جهودهم فرعا علميا مستقلا عرف باسم "علم الملل والنحل"، وهو ما يعرف اليوم ب "علم مقارنة الأديان". وقد صرّح غير واحد من علماء المسلمين بالمرجعية القرآنية، وكيف أن المعطى القرآني كان بالنسبة إليهم مستندا ومرجعا ومنطلقا انطلقوا منه لدراسة الأديان[1]، كما هو الحال مع (القاضي عبد الجبار)[2]، و(الجويني)[3]، و(ابن حزم)، هذا الأخير الذي بعد أن أورد الآيات القرآنية التي أشارت إلى مسألة تحريف الكتاب المقدّس، في معرض اثباته لتحريف التوراة، قال:"ومثل هذا في القرآن كثير جدا"[4].

3. إسهامات علم مقارنة الأديان في الدرس التفسيري

من المقرر أن كل مفسر للقرآن العظيم يتأثر بثقافته التي تخصص فيها، كما هو الحال مع المفسرين القدامى، فتفسير الفقيه مثلا غير تفسير المتكلم، وهما غير تفسير اللغوي، وتفاسير هؤلاء غير تفسير المتصوف، وهكذا.

1ـ حمدي الشرقاوي، علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، 428.
2ـ القاضي عبد الجبار، المغني، ج16، ص128.
3ـ الجويني، شفاء الغليل، ص29.
4ـ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص215.

ومن هنا فإنه من الطبيعي أن نجد المفسرين للقرآن ينتبه كل واحد منهم إلى ما لم ينتبه إليه الآخر، ويلتفت إلى ما لم يلتفت إليه الآخر، وفق تخصص كل منهم ومحور اهتمامه، فتجد الفقيه يركّز على الجانب التشريعي، وتجد اللغوي يركز على الجانب البياني، وكل ما له صلة باللغة، وتجد الصوفي ينجذب نحو المعاني الروحية، وتجد الاجتماعي يلتفت إلى السنن الاجتماعية، وعالم الطبيعة ينتبه إلى الآيات والظواهر الكونية، وهكذا[1].

وهذا الأمر ينطبق على المتخصص في الأديان، حيث نجد المتخصص في هذا الحقل العلمي ينتبه إلى مالم ينتبه إليه غيره في الآيات المتصلة بتخصصه ومحور اهتمامه، وهذا ما يجعل علم مقارنة الأديان مجالا من المجالات التي ينبغي أن توظف في خدمة القرآن الكريم وتفسيره، نظير ما يقدّمه من بيانات ومعلومات واضافات يمكن أن تساهم فيما يلي:

أ/ تعميق فهم النص القرآني، وتوسيع فهمه، وتوضيحه بالأمثلة والأدلة والشواهد.

ب/ التأكيد على صدق السبق القرآني، وصحّة الإشارات القرآنية في المباحث المتعلقة بالأديان.

ولبيان الجانب العملي لاسهامات علم مقارنة الأديان في تحقيق المعاني سالفة الذكر، اخترت مسائل ثلاث، كنماذج توضّح الإضافة التي يمكن أن يقدّمها هذا الفرع العلمي في تفسير القرآن الكريم، من خلال الحقائق وخلاصة الأبحاث التي توصل إليها علماؤه.

1.3. بشارة النبي صلى الله عليه وسلم: أشار القرآن الكريم إلى أن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم موجودة في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿**الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأمّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه و اتّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾ [سورة الأعراف: 157]، وبالرغم من إقرار القرآن بتحريف الكتاب المقدّس، إلا أنه أشار في مقابل ذلك بوجود نصوص صريحة فيه تخبر بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يدلّ على أن هناك نصوصا سلمت من التحريف، ومنها هذه النصوص التي تبشّر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أبقاها الله عزو وجلّ خزيا لليهود والنصارى وتبكيتا لهم، وحجة عليهم، بتعبير (ابن حزم). والمعيار في التفرقة بين الإلهي والبشري هو القرآن الكريم، فما خالفه فهو محرّف، وما وافقه فهو من بقايا الوحي[2].

وقد تتبّع علماء الإسلام هذه البشارات الواردة في الكتاب المقدّس، ووظفوها في مقام الاحتجاج البرهاني والاستدلال المنطقي على النبوة المحمدية من جهة، وعلى صدق وصحة الإشارة القرآنية من جهة أخرى، كما هو الحال مع (ابن حزم) في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، و(العامري) في كتابه

[1]- يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص380 - 381.

[2]- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص315 - 319.

"الإعلام بمناقب الإسلام"، و(البيروني) في "الآثار الباقية"، و(الخزرجي) في "مقامع الصلبان"، و(أبي العباس القرطبي) في "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهر محاسن الإسلام وإثبات نبوة نبيا محمد عليه الصلاة والسلام"، ومن المعاصرين: (أحمد حجازي السقا)، في كتابه "البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل"، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه،و(فيصل بن علي الكامني) في رسالته الموجزة الموسومة ب"يجدونه مكتوبا عندهم"، كما أكّد على وجود هذه البشارات رجال الدين النصارى ممن شرح الله صدرهم للإسلام، والمعروفين ب "المهتدين"، حيث تتبّعوا بشارات النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، بترجماتهما المتعددة، والتي حاول اليهود والنصارى إخفاءها وتحريفها، كما أخبر بذلك القرآن الكريم ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**﴾ [سورة البقرة:146].

وتدور هذه البشارات الواردة في الكتاب المقدّس حول: صفاته صلى الله عليه وسلم، ومكان بعثته، وخصائص دعوته عليه الصلاة والسلام.

1.1.3. صفاته صلى الله عليه وسلم: أشارت العديد من نصوص التوراة إلى بعض صفات ومواصفات النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هذه النصوص ماجاء في سفر التثنية في قول الله لموسى بن عمران : "**سأقيم لهم نبيّا من بين إخوتهم مثلك وألقي كلامي في فمه، فينقل إليهم جميع ما أكلّمه به**" [سفر التثنية:18/18]

يشير هذا النص إلى العديد من صفات النبي المنتظر، وهي: كونه من إخوة بني إسرائيل، وليس منهم، ويشابه النبي موسى عليه السلام، ومؤيدا من عند الله بالوحي، ومبلغا لما أوحي إليه.

وقد بيّن علماء مقارنة الأديان أن هذه المواصفات لا تنطبق إلا على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا للعديد من القرائن الدالة:

أ/ نفي التوراة قيام نبي من بني إسرائيل من بعد موسى (عليه السلام) له مكانته، حيث جاء في سفر التثنية ما نصّه "**ولم يقم بعد نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرّب وجها إلى وجه**" [سفر التثنية:10/34]

وبهذا القيد يخرج "يشوع بن نون" الذي عيّنه موسى (عليه السلام) خليفة له، وتولّى قيادة الشعب الإسرائيلي بعد وفاته، لأنه من بني إسرائيل، فيكون النبي المنتظر إما عربيا أو روميا، ومن المعروف أن الروم لم يكن لهم نبيّ سوى أيوب (عليه السلام) الذي كان قبل موسى (عليه السلام) بزمان، فلم يبق إلا أن يكون عربيا وهو محمد صلى الله عليه وسلم[1].

ب/ إشارة التوراة إلى القرابة بين أصل النبي المنتظر (العرب) وبني إسرائيل، وهي القرابة التي نجدها

[1] - الخزرجي، مقامع الصلبان، ص119

صريحة في سفر التكوين، عندما تحدّث عن مولد جدّ العرب (إسماعيل عليه السلام)، حيث جاء فيه ما نصّه "**وأمام جميع إخوته يسكن**" [سفر التكوين:12/16]، فكنّى عن بني إسرائيل بإخوة إسماعيل (عليه السلام).

ج/ إشارة التوراة إلى أن بني إسرائيل معنيون ببعثة النبي المنتظر، وهو ما ينطبق على النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعث للناس كافة، قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**﴾ [سورة سبأ:28]، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم بعث للعرب واليهود والروم والكرد والبربر...وغيرهم من الأجناس والأعراق، فلم تكن دعوته محلية كدعوة إخوانه الأنبياء من قبله (عليهم السلام)، حيث كان كلّ نبي يبعث لقومه خاصة، وإنما كانت دعوة عالمية عابرة للزمان والمكان والعرق[1].

كما نجد في الإنجيل نصوصا صريحة تشير إلى صفات النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، من ذلك ماورد في إنجيل يوحنا "**صدّقوني، من الخير لكم أن أذهب، فإن كنت لا أذهب لا يجيئكم المعزّي...فمتى جاء روح الحق أرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يتكلم بشيء من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما سيحدث، سيمجدني، لأنه سيأخذ كلامي ويقوله لكم**" [إنجيل يوحنا: 7/16 ـ 15]. وقد جاء في بعض النسخ لفظ "الفارقليط" بدل "المعزّي"، وهو بالعربية محمد صلى الله عليه وسلم. وأصل كلمة "فارقليط" في اليونانية "باركلي طوس"، والتي تعني المعزّي والمعين والوكيل[2].

والمتأمل في هذه الإشارات الواردة في هذا النص يجد أنها مطابقة لصفات محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه لم يأت بعد المسيح من ادّعى النبوة، ومجّد عيسى، وبالغ في تمجيده، وصدّقه في نبوته، إلا محمد صلى الله عليه وسلم[3].

وتعدّ البشارات الواردة في إنجيل يوحنا سالف الذكر محل اتّفاق لدى مهتدي أهل الكتاب[4]، يقول القس المهتدي (عبد الأحد داود) :"إن التنزيل القرآني القائل بأن عيسى ابن مريم أعلن لبني إسرائيل أنه كان (مبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) واحد من أقوى البراهين على أن محمدا كان حقيقة نبيا، وأن القرآن تنزيل إلهي فعلا، إذ لم يكن في وسعه أبدا أن يعرف أن كلمة البارقليط كانت تعني أحمد"[5].

ويؤكد المهتدي (إبراهيم خليل أحمد) أن هذا النبي الذي أشار بقدومه المسيح عليه السلام، وبشّر به، والذي لا يتكلم من تلقاء نفسه، ويخبر بالحوادث الغيبية... هو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وقد تواتر عنه إخباره بالحوادث المقبلة والغيوب، التي تحققت

---

1 ـ المرجع نفسه، ص119.

2ـ رحمة الله الهندي، إظهار الحق، ج2، ص 419 ـ 422.

3ـ سليمان الطوفي، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، ج1، ص381 ـ 382.

4 ـ جلوس فرج القحطاني، دور مهتدي أهل الكتاب في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته، ص271.

5ـ عبد الأحد داود، محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس، ص223.

في حياته وبعد مماته[1].

2.1.3. مكان بعثته صلى الله عليه وسلم: وهي من البشارات التي أوردها الكتاب المقدس، وتنطبق على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، جاء في سفر التثنية ما نصّه "**أقبل الرّب من سيناء، وأشرق لهم من جبل سعير، وتجلّى من جبل فاران**" [سفر التثنية: 2/33]

ويفسّر (الخزرجي) مجيء الرّب من "سيناء" بأنه يعني إنزال التوراة على موسى، وإشراقه من جبل "سعير" يعني أن دعوة عيسى أشرقت من هذا الجبل، واستعلاؤه من جبل "فاران" يعني أن الله يبعث محمّدا منها، وسيوحي إليه فيها، ولا اختلاف في أن "فاران" هي مكّة[2].

وهذا الاستنتاج الذي توصّل إليه الخزرجي من أن "فاران" هي مكة المكرّمة أو منطقة بمكة، كان نتيجة استقراءه للنصوص التي أشارت إلى موطن إقامة إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، وهي فاران، ومن المعلوم تاريخيا أن موطن استقرار إسماعيل كان بمكة، كما جاء ذلك في سفر التكوين (سفر التكوين:21/21).

ويربط المهتدي (إبراهيم خليل) بين هذه البشارة التي وردت في سفر التثنية وصدر سورة التين ﴿**والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين**﴾ [سورة التين:1 ـ 3]، ويرى بأن "التين والزيتون" هي بلاد الشام نسبة إلى عيسى عليه السلام، "وطور سينين" هو طور سيناء الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه، والبلد الأمين هو مكة، الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمد عليه الصلاة والسلام، حيث استنتج من خلال هذه المقارنة تطابقا كاملا في الوسيلة والتعبير[3].

وقد سبق الحبر اليهودي المهتدي (شموائيل بن يهوذا) والذي غيّر اسمه إلى (السموأل بن يحيى بن عباس) والمشهور ب (السموأل المغربي)، المهتدين من أهل الكتاب في هذا العصر بشرحه نص سفر التثنية سالف الذكر، وأثبت بتفسيره أن فاران هي مكة، وأن التوراة أشارت في هذه المواضع إلى نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبشّرت به[4].

3.1.3.خصائص رسالته صلى الله عليه وسلم: أورد (الخزرجي) في كتابه "مقامع الصلبان" نصا من الكتاب المقدّس فيه وصف لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته، مما يدل على معرفته العميقة بمصادر اليهود والنصارى، جاء في سفر مزامير داوود ما نصه "**ينزل كالنّدى على الأعشاب، وكالمطر الذي يسقي الأرض، يفرح في أيامه الصديق، ويعمّ السلام حتى زوال القمر، يملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض، وأمامه يسجد أهل الصحراء، وأعداؤه يلحسون التراب...جميع الملوك**

[1] ـ إبراهيم خليل، محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، ص47.
[2] ـ الخزرجي، مقامع الصلبان، ص123.
[3] ـ إبراهيم خليل، محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، ص66.
[4] ـ السموأل المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص68 ـ 69.

يسجدون له، وتتعبّد له جميع الأمم. ينقذ البائس المستغيث والمسكين الذي لا نصير له..." [سفر مزمور:6/72 ـ 12]. وهو نص ينطبق بلا شك على التغيير الكبير الذي ستحدثه دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على مستوى التصورات والأفكار والقناعات إن على المستوى الفردي أو الجماعي[1].

وجاء في إنجيل متى ما نصّه "**فقال لهم يسوع: أما قرأتم في الكتب المقدّسة: الحجر الذي رفضه البناؤون صار رأس الزاوية، هذا ما صنعه الرب فيا للعجب. لذلك أقول لكم: سيأخذ الله ملكوته منكم ويسلمه إلى شعب يجعله يثمر**" [إنجيل متى:42/21 ـ 43]

وقد اتّفق مهتدوا أهل الكتاب في هذا العصر بأن هذه البشارة هي بمحمد صلى الله عليه وسلم[2]، ذلك أن الحجر المقصود في النص هو محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الحجر المتمم للبناء الذي ابتدأه الأنبياء من آدم حتى المسيح (عليهم السلام)، وقد نزع الله ملكوته (رسالته) من بني إسرائيل بعد بعثة المسيح (عليه السلام)، وجعلها في ذرية إسماعيل، فاصطفى منهم محمدا صلى الله عليه وسلم، وأرسله إلى الناس كافة، فقاد العالم إلى الهداية[3]. والحقيقة أن وصف النبي محمد عليه الصلاة والسلام بالحجر شبيه بقوله:"**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة، و أنا خاتم النبيين** "[4]. فوصفه عليه الصلاة والسلام لدعوته ورسالته بأنها لبنة في بناء عظيم يعد اعجازا، فمن أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بوصفهم له بأنه حجر الزاوية، وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب؟ لا شك أنه الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا عجب أن تماثلت أقوالهم، ذلك أن الجميع يخرج من مشكاة واحدة[5].

إن هذه البشارات التي هي غيض من فيض، مما طفحت به أسفار الكتاب المقدس، بشقيه العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل)، والتي تتبعها علماء المسلمين، تعدّ بمثابة أمثلة وشواهد ساهمت في تجلية الآية القرآنية التي أشارت إلى بشارة النبي الخاتم في التوراة والإنجيل، وأكّدت على صدق وصحّة ماجاء به القرآن الكريم، ومما لا شكّ فيه أن هذا التوضيح والتأكيد يزيد المسلم يقينا، ويضعف جانب المرتابين والمشككين، سواء في النبوة والبعثة المحمدية، أو في دين الإسلام، كما يدفع غير المسلمين إلى الإيمان بدين رب العالمين.

2.3. صلب المسيح: تعتبر عقيدة الصلب والفداء من العقائد الأساسية الكبرى في النصرانية، حيث يعتقد النصارى أنه "بسبب خطيئة آدم استحق المسيح الصلب، تكفيرا عن تلك الخطيئة، ويعتقدون أن

1ـ الخزرجي، مقامع الصلبان، ص99.

2ـ إبراهيم خليل، محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، ص73.

3ـ عبد الوهاب طويلة، بشارات الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم، ص72 ـ 73.

4ـ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، رقم 5961.

5ـ محمد السحيم، مسلموا أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، ج2، ص621.

آدم مسؤول عن كل من تحدر منه مسؤولية رب العائلة عن أفراد عائلته"[1].

وقد تحدّث القرآن الكريم عن مصير المسيح (عليه السلام) في معرض إبطال اعتقاد النصارى الذين يقولون بصلبه، قال تعالى: ﴿**وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتّباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما**﴾ [سورة النساء:156 ـ 158]

وهذه الآية التي تنفي صلب المسيح، تشير إلى أمرين اثنين، كانا مرتكز علماء المسلمين في نقض هذه العقيدة:

الأمر الأول ـ ارتكاز عقيدة الصلب على الظن، والمعروف أن العقائد تبنى على اليقين والعلم، لا على مجرد الظن.

الأمر الثاني ـ الإشارة إلى وقوع الشبه على غير المسيح عليه السلام، أي أن الصلب قد وقع، لكن على شخص يشبهه.

وقد جاءت جهود علماء المسلمين للتأكيد على صحة وصدق الحقيقة القرآنية، واسهاما منهم في تجلية النص القرآني وتوضيحه بالأدلة والشواهد من الكتاب المقدس، بيّنوا تهافت هذه العقيدة وفسادها، لكثرة الاعتراضات الموجهة إليها، حيث أن أدلتها التي تستند إليها لا تصلح للاستدلال، لأن الدليل إذا ورد إليه الاحتمال بطل به الإستدلال، وهذا هو السر في وصف الله لها بأنها مبنية على الظن.

هذا ونجد الأناجيل مليئة بالأدلة والشواهد القاطعة التي تبيّن هشاشة هذه العقيدة، وأنها بنيت على الظن، لا على اليقين، وقد تتبّع (الخزرجي) روايات هذه الأناجيل التي يزعم النصارى أنها تحدّثت عن نهاية المسيح، من رحلة الاعتقال إلى مرحلة الصلب (المزعوم)، ورأى بأنها لاتشير أبدا إلى أن المصلوب هو المسيح عليه السلام، وإنما هو شخص آخر يشبهه، مما يدل على معرفته العميقة بالكتاب المقدّس، وهذا لعدّة أدلة:

1.2.3.اختلاف صفات المسيح عن صفات المصلوب: قارن (الخزرجي) بين الشخص المصلوب والسيد المسيح (عليه السلام)، ليصل إلى أن المصلوب غير السيد المسيح قطعا، وأنه شخص آخر يشبهه، فالمسيح كما جاءت سيرته مفصّلة في العهد الجديد يختلف في طبائعه وأخلاقه عن الشخص المصلوب:

أ/ فالمصلوب يطلب شرابا، والمعروف عن السيد المسيح ـ كما في الأناجيل ـ أنه يمضي الأيام والليالي ذوات العدد بلا طعام أو شراب، يقول (الخزرجي) في ذلك: "جاء في الأناجيل أن المصلوب قد استسقى

[1]ـ بولس إلياس اليسوعي، يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه، ص98.

اليهود، فأعطوه خلا ممزوجا بمرارة، فذاقه ولم يشربه، فنادى: **(إلهي إلهي لم خذلتني)**، والأناجيل كلّها مصرّحة بأنه عليه السلام كان يطوي أربعين يوما وليلة، ويقول للتلاميذ: إن لي طعاما لستم تعرفونه... فيكون حينئذ المدّعي للعطش غيره، وهو الذي شبّه لكم"[1].

ب/ اعتراض المسيح وتسخّطه على إرادة الله تعالى، وذلك حينما صاح قائلا: **(إلهي إلهي لم خذلتني)**، "وعيسى عليه السلام منزّه عن ذلك، فيكون المصلوب غيره، لا سيما وأنتم تقولون أن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه، ويخلّصه من الشيطان ورجسه، فكيف تروون عنه ما يؤدّي إلى خلاف ذلك؟ مع روايتكم في توراتكم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرتهم الموت، كانوا مستبشرين بلقاء ربّهم، فلم يجزعوا من الموت، ولم يهابوا مذاقه، ولم يعيبوه، مع أنهم عبيد الله، والمسيح بزعمكم ولد، وربّ، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم، ولمّا لم يكن ذلك دلّ على أن المصلوب غيره"[2].

2.2.3.شهرة المسيح: نشأ المسيح بين اليهود، حيث كان يعظهم ويعلّمهم ويذكّرهم بالله، وكان الناس يعجبون من براعته، حتى أنهم كانوا يقولون: "أليس هذا ابن يوسف؟ أليست أمّه مريم؟ فمن أين له هذه الحكمة؟"[3].

وهذا ما يدلّ على أنه كان شخصية معروفة، ولم يكن مجهولا على الإطلاق، لكن رواية العهد الجديد التي أوردت قصة الصلب تتحدّث من أن اليهود لما أردوا قتله لم يكونوا يعرفون شخصه **!!**

وقد أورد (الخزرجي) طائفة من القرائن لإثبات حصول الالتباس على اليهود، ومن ثم تأكيد إلقاء الشبه على غيره:

*القرينة الأولى: منح اليهود ثلاثين درهما لمن يقبض على المسيح، جاء في إنجيل متى تحت عنوان (خيانة يهوذا) ما نصّه "**وفي ذلك الوقت ذهب أحد التلاميذ الاثني عشر، وهو يهوذا الملقّب بالأسخريوطي إلى رؤساء الكهنة، وقال لهم: ماذا تعطوني لأسلّم إليكم يسوع؟ فوعدوه بثلاثين من الفضّة، وأخذ يهوذا من تلك الساعة يترقّب الفرصة ليسلّم يسوع**"[إنجيل متى:14/26 ـ 16]

إن إعطاء اليهود مبلغا من المال لأحد تلاميذه كي يرشدهم إليه، ويدلّهم عليه، يدلّ على وقوع الشبه، ذلك أن حصول الالتباس مع شهرة المسيح العظيمة يؤكّد أمرا واحدا، وهو أن الشبه قد وقع على غيره، وإلا لما حصل الالتباس. يقول (الخزرجي) عن ذلك: "...وإذا كان كذلك في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، فلم نصّ الإنجيل على أنهم وقت ما أرادوا القبض عليه لم يحقّقوه، حتى دفعوا لتلاميذه، وهو يهوذا ثلاثين

1 ـ الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص164.
2ـ المرجع نفسه، ص164.
3ـ المرجع نفسه، ص166.

درهما ليدلّهم عليه"[1].

*القرينة الثانية: تقبيل يهوذا للمسيح كأمارة للدلالة عليه، حيث اتّفق يهوذا مع اليهود حينما خرجوا في طلبه، على تقبيل المسيح كأمارة تدلّ عليه، جاء في إنجيل متى ما نصّه "**وبينما يسوع يتكلّم وصل يهوذا أحد التلاميذ الاثني عشر على رأس عصابة كبيرة تحمل السيوف والعصي، أرسلها رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. وكان الذي أسلمه أعطاهم علامة، قال: هو الذي أقبّله، فأمسكوه، ودنا يهوذا في الحال الى يسوع وقال له: السلام عليك يا معلّم، وقبّله. فقال له يسوع: افعل ما جئت له يا صاحبي. فتقدّموا وألقوا عليه الأيدي وأمسكوه**"[إنجيل متى:47/26 ـ 50]. فجعل يهوذا التقبيل علامة للدلالة عليه يؤكّد على وقوع الالتباس، وأن اليهود التبس عليهم شخص المسيح، فلو كانوا يعرفونه ما احتاجوا إلى أمارة تدلّهم عليه، يقول (الخزرجي) بعدما أشار إلى هذه القرينة للتأكيد على وقوع الشبه: "فهذا يشهد بأن اليهود لم تكن تعرفه، وهذا منصوص في إنجيلكم"[2].

* القرينة الثالثة: خروجه إليهم وسؤالهم عن الشخص المطلوب، وذلك لما وصل اليهود إليه ليلا، حيث وجدوه مع تلاميذه في بستان، فخرج إليهم وسألهم عن المطلوب، فأجابوا بأنهم يبحثون عن يسوع الناصري، وهذا ما يدلّ على أن شخصه خفي عنهم، جاء في إنجيل يوحنا ما نصّه"**...فتقدّم يسوع وهو يعرف ما سيحدث له، وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوا: يسوع الناصري. فقال لهم: أنا هو، وكان يهوذا الذي أسلمه و اقفا معهم، فلما قال لهم يسوع: أنا هو، تراجعوا ووقعوا إلى الأرض.فسألهم يسوع ثانية: من تطلبون؟ أجابوا: يسوع الناصري، فقال لهم يسوع: قلت لكم أنا هو**"[إنجيل يوحنا:18/ 1ـ 8]. فمبادرة المسيح اليهود بالسؤال عن الشخص المطلوب مرّتين يدلّ على عدم معرفتهم له، وهذا ما يؤكّد وقوع الشبه على غيره، خاصة إذا علمنا أن المسيح "أعطي قوّة التحوّل من صورة إلى صورة"[3].

إن هذه القرائن التي أوردها (الخزرجي) تؤيّد وتعضد حصول الالتباس على اليهود، وأن الشبه وقع على غيره، وبالتالي يكون الشخص المصلوب غير المسيح قطعا، يقول (الخزرجي) بعد إيراده لتلك القرائن التي تبطل مستند النصارى في القول بصلب المسيح: "فلا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين في المحاورات العظيمة، والمجادلات البليغة، كلّها تدلّ على وقوع الشبه قطعا...فمن أين لكم، أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهة؟ بل إنما حصل الظّن والتخمين، كما قال تعالى: ﴿**وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه**﴾ [سورة النساء:157ـ 158]"[4].

3.2.3.خيانة يهوذا: من الأدلة التي استند إليها (الخزرجي) في إثبات كذب دعوى الصلب عند النصارى "خيانة يهوذا الأسخريوطي"، وقد ارتبط اسم هذا الشخص الذي يعدّ أحد تلاميذ المسيح (عليه السلام)

[1]ـ الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص166.
[2]ـ المرجع نفسه، ص158.
[3]ـ المرجع نفسه، ص167.
[4]ـ الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص167.

بالخيانة، لأنه خان المسيح حينما سلّمه لأعدائه.

ويعتقد النصارى أن (يهوذا) سيخلّد في نار جهنّم، نتيجة خيانته لسيّده !!!

وهذا الاعتقاد في الحقيقة يتنافى ومنزلة يهوذا ومقامه "المقدّس" باعتباره أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر[1]، الذين اختارهم لمعاينة حوادث حياته على الأرض، واختصّهم برؤيته بعد قيامته، وأفردهم دون غيرهم بمهمّة التبشير، وأعطاهم السلطان المؤيّد لرسالتهم، ومنحهم صفة غفران الذنوب، وشهد لهم بالسعادة الأبدية...وقد أوجبت لهم هذه الصفات والخصائص الطاعة، حيث أن طاعتهم من طاعة المسيح[2].

وأمام هذا التناقض العجيب بين مقام (يهوذا) المقدّس (مقام الرسولية)، وفعلته التي دنّست هذا المقام (الخيانة)، يضع (الخزرجي) النصارى أمام ثلاثة خيارات[3]:

أ/ إما أن (يهوذا) لم يدلّ اليهود على المسيح.

ب/ أو أن المسيح كذب في حديثه عن قدسية تلاميذه الاثني عشر (ومنهم طبعا يهوذا)، وتميّزهم عن سائر البشر.

ج/ أو أن الكتاب المقدّس لحقه التحريف والتبديل.

وكما بيّن (الخزرجي) مصادمة خيانة (يهوذا) لمقامه المقدّس، فإنه بيّن أيضا أن شهادته في الدلالة على المسيح، حينما دلّ اليهود عليه، وأرشدهم إليه، مردودة عليه، لأنه في عرف النصارى مرتد وكافر !! وهذا ما يؤدّي إلى نسف القول بصلب المسيح، لأن مسألة صلبه مبنية على شهادة رجل مطعون فيه، فيقول "ولعلّكم صدّقتم يهوذا الأسخريوطي في دلالته عليه، وفي نصّ إنجيلكم أنه كافر ومرتد وملعون، فشهادته إذن غير جائزة"[4].

وهذا دليل آخر يقدح في دعوى صلب المسيح، يضاف إلى ما ذكرنا من أدلة نقلية أوردها (الخزرجي) في معرض بيانه لتهافت وفساد مستند النصارى في عقيدة الصلب.

وإذ يبطل (الخزرجي) عقيدة صلب المسيح، ويقرّ بأنه رفع كما رفع إدريس (عليهما السلام)، فإنه يرى

---

[1] ـ تعتبر النصرانية يهوذا الأسخريوطي أحد الرسل الاثني عشر الذين سمّاهم المسيح كما في إنجيل متى (10/ 1 ـ 8) ""**ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا يطردون به الأرواح النجسة، ويشفون الناس من كلّ داء ومرض. وهذه أسماء الرسل الاثني عشر: أوّلهم سمعان الملقّب ببطرس وأخوه أندراوس، ويعقوب بن زبدي وأخوه يوحنا وفيلبس وبرتولماوس، وتوما ومتى جابي الضرائب، ويعقوب بن حلفى، وتدّاوس، وسمعان الوطنيّ الغيور، ويهوذا الأسخريوطي الذي أسلم يسوع"**. ويطلق على تلاميذ المسيح الاثني عشر لقب "القدّيسين"، أي الذين لهم منزلة مقدّسة. ينظر: متى هنري: التفسير الكامل للكتاب المقدس، ج1، ص750.

[2] ـ خليل أدّه اليسوعي، الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض ، ص55.

[3] ـ الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص168.

[4] ـ الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، ص168.

بأن الصلب قد وقع على شخص آخر يشبهه، وأن (يهوذا) قد كذب على اليهود في دلالتهم على المسيح، ودليل ذلك ندم (يهوذا) وإقراره بتسليم شخص بريء[1]، جاء في انجيل متى ما نصّه "**فلمّا رأى يهوذا الذي أسلم يسوع أنهم حكموا عليه ندم وردّ الثلاثين من الفضّة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، وقال لهم: خطئت حين أسلمت دما بريئا...**"[إنجيل متى:27/3 ـ 4].

وفي بيانه "الإمكانية" و "جواز" وقوع الشبه على غير المسيح، يستدلّ (الخزرجي) بقياس الأولى، فيذكر بأن الذي يخلق من النوع نوعا آخر، قادر من باب أولى على أن يخلق الشبه في النوع الواحد، فيقول في ذلك: "والقول بالشبه قول جائز ممكن، لا بما هو خلاف الضرورة، يؤيّد ذلك أن التوراة مصرّحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحيّة في عصا موسى عليه السلام، وهو أعظم من الشبه، فإن جعل حيوان يشبه حيوانا، أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا، وقلب العصا حيّة تسعة مما أجمع عليه اليهود والنصارى، كما أجمعوا على جعل النار لإبراهيم عليه السلام بردا وسلاما، فإذا جوّزتم مثل هذا، جوّزتم أيضا إلقاء الشبه من غير استحالة"[2] ، وهذا ما يجعل من وقوع الشبه على غير المسيح جائزا وممكنا.

وبهذا يتّضح أن عقيدة الصلب التي يؤمن بها النصارى مثقلة بالكثير من التناقضات والمفارقات، حيث أن الرواية الرسمية التي تزعم صلبه ضعيفة وهشّة، لا تصلح أبدا للتأسيس العقدي، وبناء عقيدة عليها، لعدم سلامتها من الاعتراضات، ودخول الكثير من الاحتمالات إليها، فسقط الاستدلال بها، لأن الدليل إذا تطرّق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال، إضافة إلى مصادمتها للعقل السليم، والمنطق القويم، الشيء الذي جعلها مجرّد ادّعاءات وافتراءات اخترعها النصارى دون سند من نقل أو عقل، وهذا هو السر في وصف الله لها بأنها مبنية على الظن لاعلى اليقين، حين قال سبحانه: ﴿**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتّباع الظن وما قتلوه يقينا**﴾ [سورة النساء:157 ـ 158].

3.3. تأثر المسيحية بالعقائد الوثنية: أشار القرآن الكريم إلى مسألة مفصلية في الديانة النصرانية، وهي المتعلقة بتأثير المصادر الدينية الوثنية في صياغة عقائدها، وكيف أن الفلسفات الوثنية تسربت إلى رحابها، فكانت رافدا من روافدها، فجاءت نظرتها للإله مطابقة أو مشابهة لتلك المعتقدات الأجنبية، قال تعالى: ﴿**وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل**﴾ [سورة التوبة:30]

فالقرآن الكريم ـ من خلال هذه الآية ـ كان له فضل السبق في الإشارة إلى هذه الفكرة المنهجية المهمة جدا، والتي أثبتها علم مقارنة الأديان قديما وحديثا بالأدلة والشواهد، وذلك حينما اطّلع علماء هذا الفن على الديانات القديمة، وحللوا مقالاتها في الألوهية، مع مقارنتها بنظرة النصرانية للإله، فرصدوا وجود

[1] ـ المرجع نفسه، ص159 ـ 162.
[2] ـ المرجع السابق، ص168.

الشبه والاتفاق بينهما.

والحقيقة أن هذا التأثير والأثر الأجنبي في الديانة النصرانية لم يعد مجرد تخمين أو فرضية علمية، بل أصبح أمرا متّفقا عليه بين جميع علماء الأديان المسلمين، والكثير من الباحثين الغربيين في هذا الحقل، بعد تقدّم العلوم، واكتشاف الوثائق، وقراءة المخطوطات والنقوش والحفائر[1].

وقد تناول هذه المسألة العديد من علماء المسلمين المتخصصين، كما هو الشأن مع (القاضي عبد الجبار) في كتابه "تثبث دلائل النبوة"، و(البيروني) في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة"، و(الغزالي) في كتابه "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل"، و(ابن تيمية) في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح". ومن الدراسات الحديثة والمعاصرة المشهود لها بسعة العلم وعمق البحث ودقّة المنهج "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية"، لصاحبها (محمد البيروتي ت1993م)، الذي كشف الأصول القديمة التي تسربت إلى النصرانية، وأثّرت تأثيرا كبيرا في منظومتها العقائدية والتشريعية. وقد حرص المؤلف على أن تكون جميع بياناته مستمدة من مراجع علمية متخصصة لعلماء اللاهوت الغربيين، الذين نقل أقولهم في مسألة التأثير الأجنبي في النصرانية، دون تدخّل منه في هذه النقول، فيقول عن ذلك:"لم نأت بشيء جديد من عندنا، بل جئنا بحقائق راهنة، ومن يشك بواحدة منها فما عليه إلا أن يراجع مصدرها الذي ذكرناه عند كل مادة...إن جميع الكتب التي استشهدنا بها هي تأليف لمشاهير العلماء المسيحيين الأوروبيين"[2].

هذا ونجد الدراسات سالفة الذكر ترجع عقيدة الألوهية في النصرانية إلى مصدرين أجنبيين، وهي:

1.3.3.المصدر الهلنستي: كان مما خلص إليه (القاضي عبد الجبار) بعد دراسة تحليلية مقارنة مطوّلة في كتابه سالف الذكر، بين الفلسفات الوثنية والنصرانية، أن كثيرا من تفاصيل اعتقاد النصارى في الإله ترجع أصوله الأولى إلى عقائد الروم والثقافة الهلنستية، فتأليه الأشخاص الذي يعتبر أساس عقيدة التثليث النصرانية، لها وجود في الفلسفات اليونانية والرومانية، يقول عن ذلك:"إن الجوهر والأقانيم والاتّحاد هو من قول أرسطوطاليس وأشباهه...قالوا إن الإنسان إذا عرف شيئا فقد اتّحد به، وأن العقل والعاقل والمعقول يصير شيئا واحدا، وأن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة...وهم يسمون حكامهم ورؤساءهم آلهة"[3].

فتأليه المخلوقات كان من العقائد الشائعة عند اليونان وعند الروم، كما كان منتشرا في عصر القديس (بولس) المؤسس الفعلي للنصرانية الحالية، الذي ولد ونشأ في بيئة الفلسفة الرُّواقية، التي تشبّع بأفكارها، وبالأفكار الهلّينية، وتأثّر بها، ويؤكّد ذلك ما أوردته دائرة معارف الدين والأخلاق من أن

[1]ـ حمدي الشرقاوي، علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، ص346.

[2]ـ محمد البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص51.

[3]ـ القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج2، ص430

رسائل بولس تحتوي على آثار وثنية عديدة، نتيجة تأثر صاحبها بالوسط الذي ولد ونشأ فيه[1].

ويكشف (شارل جنيبر) رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس سابقا في كتابه "المسيحية" فيما يربو عن خمسة وثلاثين موضعا (صراحة أو ضمنا) عن تغلغل التراث الهلنستي في العقيدة النصرانية[2]، حيث تسرّبت آثار الأسطورة التي تدور حول فكرة إله "منقذ" ليسير بأتباعه نحو حياة الخلود، إلى ضمير المجتمعات النصرانية، فحوّلت عيسى "من مسيح يهودي وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليوناني، ولا يفهمها أهل اليونان، إلى عيسى المسيح السيد والمنقذ وابن الله وخليفة الله على الأرض" [3].

وينقل (محمد البيروتي) في كتابه سالف الذكر، وفي مواضع عدّة، أقوالا صريحة لكبار العلماء الغربيين، الذين أكدّوا على التأثير الصريح والواضح لعقائد الحضارتين الرومانية والإغريقية في الديانة النصرانية في نظرتها للإله[4].

إن هذه الأفكار الأجنبية التي تسربت إلى رحاب الديانة النصرانية عبر القديس (بولس)، والتي بدأت بتأليه السيد المسيح، ولم تتوقف عند ذلك، حوّلت النصرانية من ديانة شرقية في جوهرها إلى ديانة وثنية، وهذه هي النتيجة التي توصل إليها (شارل جنيبر) حين قال:"إن انتصار المسيحية (يعني بعد أن أصبحت الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية) في سائر وجوهه لم يكن إلا انتصارا ظاهريا، حيث إن الدين الجديد لم يطوّع العالم اليوناني ـ الروماني لعقيدته وروحه، بل على العكس من ذلك، نرى هذا العالم قد تشرّبه وطوّعه لتطلعاته الأصيلة ولتقاليده في جميع المجالات"[5].

وهي النتيجة نفسها التي خلص إليها (القاضي عبد الجبار) قبله بقرون، بعد دراسته المقارنة لمنظومة الديانة النصرانية واعتقاد الروم، والتي وضع من خلالها يديه على فكرة المصدر الروماني، حين قال:"لتعلم أن الرومان ما تنصرت، ولا أجابت المسيح، بل النصارى ترّومت، وارتدّت عن دين المسيح، وعطّلت أصوله وفروعه، وصارت إلى ديانات أعدائه، وهو ما عليه هذه الطوائف الثلاث من النصارى"[6].

2.3.3. المصدر الفارسي والهندي: تعتبر الأديان والفلسفات الشرقية الرافد الثاني من روافد عقيدة الألوهية عند النصارى. وقد غزت ديانات فارس الإمبراطورية الرومانية، ووجدت فيها بيئة خصبة لانتشارها، فشكّلت إلى جانب الثقافة الرومانية الإغريقية مصدرا كان له عظيم الأثر في صياغة عقيدة الألوهية النصرانية [7].

---

[1]ـ حمدي الشرقاوي، علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، ص349.

[2]ـ ينظر: شارل جنيبر، المسيحية، ص26 ـ 264.

[3]ـ المرجع نفسه، ص66 ـ 67.

[4]ـ ينظر: البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص62، 64 ـ 65، 80 ـ 81، 89، 102 ـ 103.

[5]ـ شارل جنيبر، المسيحية، ص242.

[6]ـ القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج1، ص168.

[7]ـ حمدي الشرقاوي، علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، ص352.

فقد انتشرت في بلاد فارس عبادة الإله "ميترا" الذي كانوا يدعونه ب"المخلص" و "الكلمة" و "الفادي" الذي مات قتيلا ليكفّر خطايا الناس، ثم قام من بين الأموات، وعملوا له عيدا يوم قيامته. وقد امتدت شهرة هذا "المنقذ الإلهي" إلى بلاد الهند شرقا، وإلى مصر واليونان حتى شمال بريطانيا غربا، وهناك امتزجت بديانات البلاد وتفاعلت مع معتقداتها تفاعلا نشطا، لاسيما في طرسوس مهد القديس بولس[1].

وكما انتشرت في بلاد فارس فكرة الإله المنقذ والمخلص التي تعتبر أساس عقيدة الصلب والفداء النصرانية، انتشرت في بلاد الهند فكرة الثالوث والتجسد الإلهي، والتي هي أساس عقيدة التثليث النصرانية، وقد بيّن (البيروني) في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة" وجود تشابه بين الثالوث الهندوسي والتثليث النصراني، فيقول عن ذلك:"يذهبون (الهندوس) مذهب النصارى في تمييز أسامي الأقانيم بالأب والابن والروح القدس، بعضها من بعض، وجمعها بجوهر واحد، فهذا ما يلوح من كلامهم عند النظر والتحصيل"[2].

ولا ينبغي أن يُفهم من كلام (أبي الريحان البيروني) أن الهندوسية أخذت من النصرانية، ذلك أن الأولى أسبق تاريخيا وزمنيا من الأخيرة، والمعروف أن اللاحق يأخذ من السابق، وليس العكس، لكنه أراد أن يكشف عن وجه المشابهة وتقارب المعتقد في الديانتين، وأن الثالوث الهندوسي مصدر للتثليث النصراني.

ويذكر (محمد البيروتي) نقلا عن غير واحد من علماء الغرب اللاهوتيين، أن من أشهر عبادات الهند اللاهوتية الثالوث المتمثل في الإله ذي الأقانيم والامتزاج، ويسمونه (كرشنا) الرّب المخلّص، والروح العظيم، حافظ العالم، الذي ظهر متجسدا بالناسوت على الأرض، وقدّم نفسه ذبيحة ليخلّص الإنسان من خطاياه، ثم قام بعد موته وصعد إلى السماء بجسده[3].

وبعد مقارنة ماجاء في كتابات علماء الأديان المقارنة بشأن (كرشنا) عند الهندوس، وما يعتقده النصارى وتقول به الأناجيل في شأن عيسى عليه السلام، ينتهي (البيروتي) إلى القول ـ مع علماء مقارنة الأديان في الغرب ـ بأن تثليث الأقانيم وتأليه المسيح وتجسده وصلبه وبنوّته الإلهية، فضلا عن بعض الشعائر والطقوس النصرانية، كل ذلك يرجع إلى روافد دينية وفلسفية تسبق تاريخ ظهور الديانة النصرانية[4].

وبهذا يتّضح أن مصدر الألوهية النصرانية (الهلنستي والفارسي والهندي) الذي كشفت عنه الدراسات الغربية الحديثة والمعاصرة، هو عين ما انتهت إليه دراسات علماء المسلمين قبلها بقرون ليست بالقليلة،

---

1 ـ جفري بارنذر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص125 ـ 126.

2ـ البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص72.

3 ـ ينظر: البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص55 ـ 56.

4 ـ البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص183 ـ 220.

مما يؤكّد على صدق وصحة السبق القرآني الذي تحدّث عن تأثير الفلسفات والعقائد الوثنية في صياغة الألوهية النصرانية، حين قال سبحانه: ﴿**وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل**﴾ [سورة التوبة:30]

إن هذه البيانات والمعلومات التي تعدّ خلاصة أبحاث علم مقارنة الأديان ونتائج دراساته، والتي تؤكّد على صدق السبق القرآني، وصحّة الإشارات القرآنية، تمثّل الإضافة العلمية لهذا الحقل العلمي في تفسير القرآن الكريم، وفي خدمة الدراسات القرآنية، والتي من شأن توظيفها أن توسّع فهم الآية القرآنية، وتعمّق مدلولها، وتوّضحها بالأدلة والشواهد، وبذلك يزداد يقين المسلم، ويضعف شك المرتاب، ويدفع غير المسلمين للدخول في دين رب العالمين، وهنا تظهر القيمة العلمية والحضارية لعلم مقارنة الأديان، كونه أحد العلوم الرائدة في خط الدفاع الأول عن الدين ونصرة عقائده والذّب عنها.

4. خاتمة

يعد علم مقارنة الأديان من العلوم الأصيلة في الفكر الإسلامي، فهو وليد عدة عوامل تضافرت مجتمعة لظهوره وازدهاره في البيئة الإسلامية، ويأتي على رأسها القرآن الكريم، من خلال إشاراته العديدة لمباحث الأديان، التي كانت بمثابة الدرس المنهجي لعلماء المسلمين منطلقا ومستندا ومرجعا. وقد استفادت من خلاصة أبحاث هذا الحقل العلمي العديد من العلوم الأخرى، على غرار علم الفرق وعلم الكلام وعلم الجدل والمناظرة من خلال إمدادها بمادة علمية عن الجذور الوثنية للكثير من الفرق الباطنية والمبتدعة التي ظهرت في البيئة الإسلامية. وهذه الدراسة تبيّن شكلا آخر من إسهامات هذا العلم في حقل التفسير والدراسات القرآنية، وقد توصلت فيها إلى جملة من النتائج، أجملها فيما يلي:

ـ ظهور علم مقارنة الأديان ـ ابتداءا ـ بدافع القرآن الكريم، من خلال إشاراته العديدة لمباحث الأديان، التي حفّزت ووجّهت علماء المسلمين لدراستها، فشكّلت إطارا مرجعيا بالنسبة إليهم.

ـ تميّز المصنفات الإسلامية في علم مقارنة الأديان على اختلاف مناهجها بالنزعة النقدية، مردّه الى تأثّر أصحابها بالموقف القرآني من الأديان.

ـ تعدد إسهامات علم مقارنة الأديان في تفسير القرآن الكريم، بين توسيع فهم الآية القرآنية وتعميق مدلولها وتوضيحها بالأمثلة والأدلة والشواهد من جهة، والتأكيد على صدق السبق القرآني وصحة الإشارات القرآنية في المباحث المتعلقة بالأديان من جهة أخرى.

ـ أكّدت الدراسة على أن نتائج وخلاصة أبحاث علم مقارنة الأديان تعدّ مادة علمية دقيقة، يمكن أن تُوظّف في خدمة القرآن الكريم وفي الدراسات القرآنية.

ـ خلصت الدراسة إلى أن الإضافات التي يقدّمها علم مقارنة الأديان لعلم التفسير والدراسات القرآنية، تدلّ على القيمة العلمية والحضارية لهذا الفرع العلمي، وتؤكّد على التكامل المعرفي بين حقول

العلوم الإسلامية.

وبعد هذه النتائج المستخلصة من البحث، رأيت أنه من الواجب تذييلها ببعض التوصيات التي تفتح آفاقا لهذه الدراسة، في النقاط الآتية:

ـ تكثيف الدراسات المتعلقة بإسهامات علم مقارنة الأديان في حقل الدراسات الإسلامية والإنسانية والاجتماعية، وذلك في إطار التكامل المعرفي بين العلوم.

ـ العمل على إبراز مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان، وبيان أصالتها واستقلاليتها، ومدى تأثّرها بالإتّجاه القرآني، في ظل تعدد مناهج دراسة الأديان وتداخلها.

ـ تمكين الدين من الإسهام في البحوث العلمية، بجعل إشاراته المتعددة في الكثير من المجالات منطلقا ومستندا في الدراسات وموجّها لها، خاصة في ظل التحديات المعرفية الراهنة التي تحاول إبعاد الدين وتحييده من كل نواحي الحياة.

5. قائمة المصادر والمراجع

1.**القرآن الكريم:** (رواية حفص عن عاصم)

2.**الكتاب المقدس:** (1988)، بيروت: دار الكتاب المقدس

3.**المؤلفات:**

- إبراهيم خليل أحمد، (1409هـ)، محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، الرياض: دارالمنار.
- الأصفهاني، الراغب، (1998)، المفردات في غريب القرآن، ط1، بيروت: دار المعرفة.
- البيروني، أبي الريحان، (1958)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، د.ت، الهند: دائرة المعارف العثماني.
- بولس إلياس اليسوعي، د.ت، يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه، ط2، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- جفري بارندر، (1993)، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح، الكويت: عالم المعرفة، عدد173.
- الجويني، أبي المعالي، (1978)، شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مصر: مكتبة الكليات الأزهرية.
- حمدي الشرقاوي، (2017)، علم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن حزم، أبو محمد علي، (1996)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، ط2، بيروت: دار الجيل.
- الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد، د.ت، مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، تونس: إصدارات الجامعة التونسية.
- الخزرجي، (1972)، بين المسيحية والإسلام، تحقيق: محمد شامة، القاهرة: مكتبة وهبة.
- خليل أدّه اليسوعي، (1935)، الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
- الرازي، فخر الدين، (1990)، مفاتيح الغيب، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

- رحمة الله الهندي، (1988)، إظهار الحق، تحقيق: عمر الدسوقي، الجزائر: دار الكتب.
- سليمان الطوفي، (1999)، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، تحقيق: سالم القرني، ط1، السعودية: مكتبة العبيكان.
- السموأل المغربي، (1989)، بذل المجهود في إفحام اليهود، تحقيق: عبد الوهاب طويلة، دمشق: دار القلم.
- سيد عبد الغفار، نهى كمال، (2016)، نقد العهد القديم بين الإسلام والعلمانية، ط1، القاهرة: دار الآفاق.
- شارل جنيبر، (1985)، المسيحية، ترجمة: عبد الحليم محمود، ط2، مصر: دار المعارف.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، (1968)، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة: دار الاتحاد العربي.
- العامري، أبي الحسن، (1967)، الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق: أحمد عبد الحميد غراب، د.ت، بيروت: دار الكتاب العربي.
- عبد الأحد داود، (1405هـ)، محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس، الرياض: دار الضياء.
- عبد الوهاب طويلة، بشارات الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم، القاهرة: دار السلام.
- القاضي عبد الجبار، (1966)، تثبيت دلائل النبوة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، بيروت: دار العربية.
- القاضي عبد الجبار، (1960)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاهرة: المؤسسة المصرية.
- متى هنري، (2002)، التفسير الكامل للكتاب المقدّس، ط1، القاهرة: مطبعة إيجلز.
- محمد البيروتي، (1989)، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق: محمد الشرقاوي، ط1، مصر: دار الصحوة.
- محمد السحيم، (1993)، مسلموا أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، ط1، الرياض: دار الفرقان.
- مسلم، الحجاج بن مسلم، (1955)، صحيح مسلم، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث.
- ابن منظور، جمال أبو الفضل، (1968)، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، (1995)، السيرة النبوية، ط1، مصر: مكتبة الإيمان.
- يوسف القرضاوي، (2013)، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ط9، القاهرة: دار الشروق.

4.المقالات:

- جلوس القحطاني، (2022)، دور مهتدي أهل الكتاب في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته، مجلة الجامعة العراقية، ج2، العدد 53.

Bibliography List

1/The Holy Quran: (Narration of Hafs on the authority of Asim)

2/The Bible: (1988), Beirut: Bible House

3/ Books:

• Abd al-Ahad Dawood (1405 AH), Muhammad, may God bless him and grant him peace, in the Bible, Riyadh: Dar al-Dia.

• Abd al-Wahhab Tawila, Bisharat of the Prophets in Muhammad, may God bless him and grant him peace, Cairo: Dar es.

• Al-Amiri, Abi Al-Hassan (1967), Information on the Virtues of Islam, edited by Ahmed Abdel Hamid Ghorab, Dr. Beirut: Arab Book House.

• Al-Biruni, Abi Al-Rayhan, (1958), Fulfilling India ' T, India: Ottoman Encyclopedia.

• Al-Isfahani, Al-Ragheb, (1998), Al-Mufradat fi Ghareeb Al-Qur'an, 1st edition, Beirut: Dar Al-Ma'rifa.

• Al-Juwaini, Abi Al-Maali, (1978), Shifa Al-Ghaleel in Statement of the Change in the Torah and the Gospel, edited by Ahmed Hegazy Al-Sakka, Egypt: Al-Azhar College Library

. •Al-Khazraji (1972), Between Christianity and Islam, investigation: Mohamed Shama, Cairo: The Library of Wahba.

• Al-Razi, Fakhreddine, (1990), Keys to the Unseen, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alami.

• Al-Samawal Al-Maghribi (1989), Exerting the Effort to Weigh the Jews, investigation:

• Al-Shahristani, Mohammed bin Abdul Karim (1968), Al-Mull and Al-Nahl, investigation: Abdelaziz Mohamed Al-Wakeel, Cairo: House of the arab.

• Charles Jenniber (1985), Christianity, translated by Abdel Halim Mahmoud, 2nd Edition, Egypt: House of Knowledge.

• Hamdi Cherkaoui, (2017), Religious Comparative Science in Islamic Intellectual Heritage, 1st Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Alamiya.

• Hindi Mercy of God, (1988), Showing Truth, Investigation: Omar Desouki, Algeria: Dar al-Kutub

• Ibn Manzur, Jamal Abul Fadl (1968), Lisan al-Arab, Beirut: Dar Sader.

•Ibrahim Khalil Ahmad, (1409 AH), Muhammad, may God bless him and grant him peace, in the Torah, the Gospel, and the Qur'an, Riyadh: Dar Al-Manar

• Ibn Hisham, Abu Muhammad Abd al-Malik (1995), Biography of the Prophet, 1st Edition, Egypt: Library of Faith.

•Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali, (1996), The Chapter on Boredom, Whims and Bees, investigated by Muhammad Ibrahim Nasr, 2nd Edition, Beirut: Dar al-Jeel.

•Jeffrey Barnther (1993), Religious Beliefs of Peoples, translated by Imam Abdel Fattah, Kuwait: The World of Knowledge, No. 173.

• Judge Abdel-Jabbar (1960), Singer in the Doors of Monotheism and Justice, Cairo: The Egyptian Foundation.

• Judge Abdul-Jabbar (1966), Confirmation of Evidence of Prophethood, investigation: Abdul Karim

Othman, Beirut: Dar al-Arabiya.

• Khalil Edde the Jesuit, (1935), Church or Kingdom of Christ on Earth, Beirut: Catholic Press.

•Khazraji, Ahmed bin Abdul Samad, d. Investigation by Abdelmadjid Charfi, Tunisia: Publications of the University of Tunisia.

•Matthew Henry, (2002), Full Interpretation of the Bible, 1st Edition, Cairo: Eagles Press.

• Mohamed El-Beerouti (1989), Pagan Beliefs in Christianity, edited by Mohamed El-Sharqawy, 1st Edition, Egypt: Dar Al-Sahwa.

• Muhammad al-Sahim (1993), Muslims of the People of the Book and their influence in defending Qur'anic causes, 1st Edition, Riyadh: Dar al-Furqan

• Muslim, Al-Hajjaj Bin Muslim, (1955), Sahih Muslim, edited by Fouad Abdel-Baqi, Beirut: House of Heritage Revival.

• Paul Elias the Jesuit, d. T., Jesus Christ, His Personality and Teachings, 2nd Edition, Beirut: Catholic Press.

• Suleiman Al-Tufi (1999), Islamic victories in the semi-Christian revelation, edited by Salem Al-Qarni, 1st Edition, Saudi Arabia: Al-Obeikan Library.

•Syed Abdel Ghaffar, Noha Kamal, (2016), Critique of the Old Testament between Islam and

• Youssef Al-Qaradawi, (2013), How to Deal with the Great Quran, 9th Edition, Cairo: Dar Al-Shorouk

4. Theses:

• Sitting Al-Qahtani (2022), The Role of the Converted People of the Book in Proving the Prophethood of Muhammad, May God bless him and grant him peace, Journal of the Iraqi University, vol. 2, No. 53.